المحاضرة الثانية
عنوان هذه المحاضرة

التعريف بكتاب الموطأ للإمام مالك ومنهجه فيه

(أولًا)

التعريف بالإمام مالك

(1) ترجمة الإمام مالك بن أنس

- **هو**: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري أبو عبد الله المدني، إمام دار الهجرة.

- **مولده**: سنة ثلاث وتسعين للهجرة على الأصحّ.

- طلبه العلم:

بدأ مالك - رحمه الله تعالى - في طلب العلم مبكراً، حيث ذَكَر عن نفسه أنه كان يأتي الإمام نافعًا وهو غلام.

وقد كانت أمه من أحرص الناس على توجيهه إلى طلب العلم، ذلك أنها ذات مرة ألبسته ثيابه وأرسلته إلى حلقة ربيعة بن عبد الرحمن ، ثم قالت له: «تعلَّمْ من أدبه قبل علمه» .

- **شيوخه**:

- روى عن شيوخ كثيرين ، منهم:

إبراهيم بن أبي عبلة المقدسي،

وأيوب بن أبي تميمة السختياني،

وجعفر بن محمد الصادق،

وحميد الطويل،

وداود بن الحصين،

وغيرهم.

- **تلاميذه ومن روى عنه:**

- روى عنه وتتلمذ له عدد كبير، منهم:

عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج - وهما أكبر منه -،

ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري - وهما من شيوخه - ،

وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج - وماتا قبله -،

وليث بن سعد - وهو من أقرانه - ،

وإسماعيل بن أبي أويس، وإسماعيل بن علية، وإسماعيل بن موسى الفزاري، وسعيد بن منصور، وسفيان بن عيينة، ومحمد بن إدريس الشافعي، ووكيع بن الجراح، والوليد بن مسلم، ويحيى بن سعيد القطان، وغيرهم.

- **مناقبه وثناء العلماء عليه:**

- قال محمد بن سعد: كان مالك ثقة مأمونا ثبتا ورعا فقيها عالماً حجةً.

- وقال البخاري - لما سئل عن أصحّ الأسانيد - : مالك عن نافع عن بن عمر.

- **- تعظيمه لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم -:**

- عن أبي سلمة الخزاعي: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث، توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوة، ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أوقِّر به حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم -.

- - وكان إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب.

- - وإذا رفع أحد صوته في مجلسه زجره، وقال: قال الله - تعالى -:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) فمن رفع صوته عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم -؛ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -».

- **علمه بالرواة وشدة تحريه:**

- كان مالك ممن اعتنى بنقد الرجال ، وبخاصة أهل بلده،

- وهو معتدل مع بعض التشدد. قال سفيان بن عيينة: «ما كان أشد انتقاد مالك للرجال وأعلمه بشأنهم» .

- وقال الإمام مالك نفسه: «لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ من سوى ذلك:

- لا يؤخذ من سفيه،

- ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه،

- ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -،

- ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة، إذا كان لا يعرف ما يحدث» .

- **مصنّفاته:**

- له مؤلفات ، منها:

1- رسالة لابن وهب في الرد على القدرية.

- 2- رسالة في الأقضية، كتب بها إلى أحد القضاة.

- 3- رسالته في إجماع أهل المدينة إلى الليث بن سعد.

- 4- وأشهر هذه المصنفات كتابه : الموطأ.

- **- وفاته:**

- قال الواقدي: مات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومئة .

- (ثانيًا)

- "الموطأ" ومنهج الإمام مالك فيه

- **1- تسميته بالموطأ:**

- الموطأ في اللغة كما يقول ابن فارس: (كلمةٌ تدلُّ على تمهيدِ

- شيءٍ وتسهيله) .

- قال ابن فهر: لم يسبق مالكاً أحد إلى هذه التسمية.

- **:لماذا سمى كتابه بالموطأ**

- سمي بذلك لأمرين:

- **1- لأنه وطَّأ به الحديث ؛ أي يسره للناس:**

- قال ابن فهر: لفظة الموطأ بمعنى الممهّد المنقّح .

- ويقول السيوطي: قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الكتاني الأصبهاني: قلت لأبي حاتم الرازي: موطأ مالك لم سمّي موطأ؟ فقال: شيء قد صنّفه ووطأه للناس.

- **2- لمواطأة علماء المدينة له فيه ، وموافقتهم عليه:**

- قال مالك: عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه ، فسمّيته: الموطأ.

- **2- مدة تأليفه:**

- ألف مالك الموطأ في سنين كثيرة، ذُكر أنها أربعون، وذُكر أنها دون ذلك.

- وما ذلك إلا لما عُرف من إتقان مالك وضبطه وانتقائه، وقلة تحديثه بالأحاديث في مجلسه.

- **3- موضوعه:**

- اشتمل الموطأ على:

- أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ،

- وأقوال الصحابة ،

- وفتاوى التابعين .

- وقد انتقاه من مائة ألف حديث كان يرويها.

- **4- محتوياته:**

- ما حواه الموطأ أقسام:

- 1- أحاديث مروية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بأسانيد متصلة.

- 2- أحاديث مروية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بأسانيد مرسلة.

- 3- أحاديث مروية بسند سقط منه راو.

- 4- أحاديث يبلغ في سندها إلى ذكر الصحابي، ولا يذكر فيها أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهي الموقوفات.

- 5- البلاغات، وهي قول مالك: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا.

- 6- أقوال فقهاء التابعين.

- 7- ما استنبطه هو من الفقه المستند إلى العمل ، أو إلى القياس، أو إلى قواعد الشريعة.

- .ولذلك فهو يعد الأول في التأليف في الفقه والحديث معًا

- **5- نُسخ الموطأ:**

- **نسخ الموطأ كثيرة جدًا:**

- قال القاضي عياض: (والذي اشتهر من نسخ الموطأ .. نحو عشرين نسخة، وذكَرَ بعضهم أنها ثلاثون نسخة) .

- وقال الحافظ صلاح الدين العلائي: (روى الموطأ عن مالك جماعات كثيرة، وبين رواياتهم اختلافات من تقديم وتأخير، وزيادة ونقص، وأكبرها رواية القعنبي، ومن أكبرها وأكثرها زيادات: رواية أبي موسى).

- وذكر السيوطي عدد نسخ الموطأ أربع عشرة.

- **والسبب في تلك الكثرة:**

- أن الإمام مالكًا مكث أربعين سنة يقرأ الموطَّأَ على الناس ، فيزيد فيه وينقص ويُهذِّب ،

- فكان التلاميذ يسمعونه منه أو يقرؤونه عليه خلال ذلك ،

- فتعددت روايات الموطأ واختلفت بسبب ما قام به الإمام من تعديل على كتابه ،

- فبعض تلاميذه رواه عنه قبل التعديل ، وبعضهم رواه أثناء التعديل ،

- وبعضهم رواه في آخر عمره ،

- وبعضهم رواه كاملا ، وآخرون رووه ناقصا ،

- فاشتُهِرت عدة روايات للموطأ ، أهمها :

- 1- رواية يحيى بن يحيى المصمودي الليثي (234هـ) :

- وهي أشهر رواية عن الإمام مالك ، وعليها بنى أغلب العلماء شروحاتهم .

- 2- رواية أبي مصعب الزهري : وتمتاز بـ:

- ما فيها من الزيادات ، وبأنها آخر رواية نقلت عن مالك ، وهي متداولة بين أهل العلم .

- 3- رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي (221هـ) :

- وهي أكبر روايات الموطأ .

- وعبد الله بن مسلمة من أثبت الناس في الموطأ عند ابن معين والنسائي وابن المديني .

- 4- رواية محمد بن الحسن الشيباني .

- وغيرها كثير .

- **6- عدد أحاديثه:**

- - يختلف عدد أحاديث "الموطأ" ، وذلك يرجع لأسباب، منها:

- أ- تباين رواياته عن الإمام مالك ؛ ولأنه كان دائم التهذيب والتنقيح له، إذ مكث في تصنيفه وتهذيبه أربعين عامًا.

- ب- اختلاف الروايات .

- ج- اختلاف طريقة العدّ ، وذلك أن بعض أهل العلم يعد كل أثر من كلام الصحابة أو التابعين حديثا مستقلا ، وبعضهم لا يعتبره ضمن العدد .

- - ويبلغ عدد أحاديث "الموطأ" - رواية يحيى بن يحيى الأندلسي عنه (وهي الرواية الأشهر ، والمقصودة عند إطلاق الموطأ) – : 853 حديثاً.

- وقد رقمها ترقيما كاملا الشيخ خليل شيحا ، فبلغ عدد الأحاديث بترقيمه 1942 حديثا ، تشمل المرفوع والموقوف .

- - ويقول أبو بكر الأبهري: جملة ما في "الموطأ" من الآثار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وعن الصحابة والتابعين :1720 حديثاً، المسند منها: 600، والمرسل: 222، والموقوف: 613، ومن قول التابعين: 285.

- - وأما رواية أبي مصعب الزهري : فقد رقمت في طبعة مؤسسة الرسالة ، فبلغ عدد أحاديثها 3069 حديثا ، وقد شمل الترقيم كل شيء حتى أقوال الإمام مالك ، لهذا السبب كان العدد كبيرا .

- **7- البلاغات والمراسيل في موطأ الإمام مالك:**

- يوجد في موطأ الإمام مالك ما يعرف بـ (البلاغات) ، وهي من قبيل المعلّقات ، فلا يُجزم بثبوتها ، بل الأصل فيها الضعف لانقطاع الإسناد ، حتى توصَلَ بإسناد ثابت .

- وقد وُجد كثير من هذه البلاغات ثابتاً ، كما وُجد بعض من هذه البلاغات موصولاً بإسناد ضعيف.

- **عدد هذه البلاغات:**

- قال ابن عبد البر رحمه الله: (بلاغات مالك ومرسلاته مما بلغه عن الرجال الثقات وما أرسله عن نفسه في موطئه ورفعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك **61 حديثًا**).

- **8- مرتبة أحاديثه:**

- قال الإمام الشافعي: "أصح كتاب بعد كتاب الله : موطأ الإمام مالك".

- ولا تعارض بين هذا القول وبين ما اتفق عليه العلماء من أن أصح كتاب بعد كتاب الله صحيحا البخاري ومسلم.

- وذلك لأمرين:

- 1- أن كلام الإمام الشافعى كان قبل وجود "الصحيحين" حيث توفي - رحمه الله - سنة (204 هـ) ، وعمر الإمام البخاري آنذاك لا يتجاوز عشر سنوات، وكان مولد الإمام مسلم سنة (204 هـ).

- 2- أن أكثر ما فيه مخرج فيهما، وما بقي منه موجود في "السنن الأربعة".

- - وقد ذهب إلى القول بأن كل ما في "الموطأ" صحيح: جمعٌ من الأئمة في المشرق والمغرب، وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن الصلاح و الحافظ ابن حجر.

- - لكن الراجح لدى الجمهور أن مرتبة "الموطأ" تأتي بعد "الصحيحين".

- - والحق أن ما فيه من الأحاديث الموصولة المرفوعة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صحاح كلها ، وهي في الصحة كأحاديث الصحيحين،

- وأما ما فيه من المراسيل والبلاغات وغيرها فيعتبر فيها ما يعتبر في أمثالها مما تحويه الكتب الأخرى.

- - وإنما لم يعده أكثر العلماء في الكتب الصحاح لكثرة ما فيه ما المراسيل والبلاغات والمنقطعات، وكثرة الآراء الفقهية فيه لمالك وغيره.

- - هذا وقد عده بعض العلماء سادس الكتب الستة بدلًا من "سنن ابن ماجه"، منهم ابن الأثير في كتابه: "جامع الأصول".

- **9- خصوصيات "الموطأ" في اصطفاء أحاديثه:**

- 1- جمع الرواية عن معظم شيوخ الحجاز.

- 2- اختيار الثقات منهم والأصح من حديثهم.

- 3- تحمّل رواية غير الحجازيين، وإن كانت قليلة.

- 4- انتقاء الأصح من هذه الروايات جميعها.

- 5- تخليص الموطأ فيما بعد من أحاديث ليس عليها العمل عامًا بعد عام.

- **10- مصطلحات الإمام مالك في الموطأ:**

- للإمام مالك رحمه الله في الموطأ مصطلحات تكلّم عليها أهل العلم وبيّنوها، منها:

- **1- قوله: (السنة التي لا اختلاف فيها عندنا كذا وكذا):** يُعبّر بقوله هذا عن أقوال الفقهاء السبعة، وفقهاء المدينة.

2- قال ابن وهب: كل ما في كتاب مالك: **(أخبرني من لا أتهم من أهل العلم)** فهو الليث بن سعد.

3- **قوله: عن الثقة، عن ابن عمر**؛ فالثقة هنا هو الإمام نافع، كما قال الحافظ ابن حجر.

- **11- معالم منهج الإمام مالك في الموطأ:**

- **أ- كان الإمام مالك يسلك منهج التحري والتوخي وانتقاء الصحيح** ؛ ولذلك جاء شرطه في كتابه من أوثق الشروط وأشدها .

- قال الشافعي رحمه الله : ما في الأرض بعد كتاب الله أكثر صوابا من موطأ مالك بن أنس .

- وعن الربيع قال : سمعت الشافعي يقول : كان مالك إذا شك في الحديث طرحه كله .

- لذلك نجد أن أكثر أسانيد مالك الموصولة في الدرجة العليا من الصحيح ، ومن أجل هذا استوعب الشيخان البخاري ومسلم أكثر حديثه في كتابيهما .

- ب- اتبع مالك في موطئه طريقة المؤلفين في عصره ، **فمزج الحديث بأقوال الصحابة والتابعين والآراء الفقهية** ، حتى بلغت آثار الصحابة : 613 أثرا ، وأقوال التابعين : 285 قولا.

- ج- يقدم في الباب الحديث المرفوع ، ثم يتبعه بالآثار وأحيانا يذكر عمل أهل المدينة .

- فكتابه – كما سبق - كتاب فقه وحديث في وقت واحد ، وليس كتابَ جمع للروايات فقط ،

- لذلك نجد بعض الأبواب تخلو من المرويات ، وإنما يسوق فيها أقوال الفقهاء وعمل أهل المدينة واجتهاداته.

- **12- طريقة الإمام مالك فيه:**

- **أ- أن يذكر في مقدمة الموضوع** ما ورد فيه من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -،

- ثم ما ورد من أقوال الصحابة،

- ثم ما ورد من فتاوى التابعين، وقل أن يكونوا من غير أهل المدينة.

- وأحيانا يذكر ما عليه العمل أو الأمر المجمع عليه بالمدينة،

- وقد يذكر بعض الآراء الفقهية له.

- **ب- لم يتقيد الإمام في موطئه بالمسند المتصل** ، بل ذكر فيه المرسل والمنقطع والبلاغات .

- **ج- اعتنى الإمام مالك بالحديث رواية ودراية:**

- ولذلك كانت أحاديثه في الموطأ منتقاة،

- ولقد وصف ابن عبد البر مالكا في روايته وصفا موجزا محكما، فقال: "إن مالكا كان من أشد الناس تركا لشذوذ العلم، وأشدهم انتقادا للرجال، وأقلهم تكلفا، وأتقنهم حفظا، ولذلك صار إماما".

- **د- أما فقه مالك في الموطأ:**

- فقد كان بعضه تخريجا للأحاديث ،

- وبعضه بيانا للأمر الذي كان مجتمعا عليه بالمدينة،

- وبعضه بيانا لما كان عليه التابعون الذين التقى بهم،

- وبعضه رأيا اختاره من مجموع آرائهم،

- وبعضه رأيا رآه قد قاسه على ما علم، فهو شبيه بما علم من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وما اجتمع عليه أهل المدينة، وما نقله عن أهل العلم من الصحابة والتابعين.

- **13- أهم الكتب المؤلفة حول الموطأ وأشهر شروحه:**

- **أ- مختصراته:**

- وهي كثيرة ، من أشهرها:

- 1- مختصر الإمام أبي سليمان حمد بن أحمد بن محمد بن خطاب البستي الخطابي (ت 388هـ).

- **ب- شروحه:**

1- الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار.
2- والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،

- وكلاهما لابن عبد البر القرطبي المالكي(ت 463 هـ) .

‘‘‘

بتوفيق للجميع

Khaled